

في هذا العدد

اتخذ سؤال هذا العدد: فلسطين إلى أين؟ بعداً جديداً حين قام الإسرائيليون بإدخال محمود درويش وقصيدته "بطاقة هوية"، إلى حلبة النقاش. طبعاً كان هدف أفينغور ليبرمان وميري ريغيف تشويه صورة شاعر فلسطين والعرب بلاصقة اللاسامية، في سياق معركة هيمنة اليمين الديني - القومي على الفضاء السياسي والمؤسساتي الإسرائيلي، لكنهما، من دون أن يدريا، قاما بتصويب النقاش ببوصلة الشاعر.

فالخطاب الإسرائيلي المبتذل الذي قارن بين القصيدة وكتاب "كفاحي"، رسم بوضوح الحدّ الفاصل بين لغة الضحية ولغة الجلال، كما رسم الفرق بين فكرة فلسطين، بصفتها نضالاً من أجل الحرية والعدالة، وبين مشروع كولونيالي استيطاني يتماهى مع تاريخ الطغاة والعنصريين والنازيين، مذكراً إيانا بوقفه الروائي البرتغالي الكبير جوزيه ساراماغو، عندما رأى في الاحتلال الإسرائيلي شبحاً يذكره بالشبح النازي.

أعادتنا الحملة الإسرائيلية على قصيدة درويش إلى مربع النكبة الأول، فإذا باللغة التي اعتقدنا أن الزمن تجاوزها نُستعاد، فاليمين القومي - الديني لا يقاتل على الأرض فقط، بل يقاتل في اللغة من أجل تجريفها من المعاني، عبر استدعاء المخزون اللاسامي، في محاولة صريحة لتحويل الفلسطينيين إلى يهود اليهود.

حين نعيد نشر القصيدة في هذا العدد، وإلى جانبها قصيدة "عندما يبتعد"، فهذا لا شأن له بالحنين، وإنما يهدف إلى تذكيرنا بأن المعركة لا تزال في بداياتها ضد "الأوغاد"، بحسب التعبير الذي استخدمه الياس خوري في مقالته التي يقدم فيها للقصيدتين، عبر وضعهما في سياق البعد الإنساني لمقاومة الاحتلال والمحو والإذلال.

دخول درويش إلى ساحة النقاش الفلسطيني، في لحظة الضياع والعجز الكبيرين اللذين تعيشهما المؤسسة السياسية الفلسطينية، وانكشاف فلسطين على التدخلات الخارجية، ومحاولة تحويل أشلائها إلى ساحة إقليمية، يعيد المعنى إلى المعنى. فعندما تعجز السياسة، يتعين عليها أن تعود إلى الشعر والأدب والفكر، كي تتمكن بمخزونها الروحي والأخلاقي، وتحرر من سفاهة اللحظة المنقلبة.

محور هذا العدد وملفه، هو السؤال الفلسطيني. فلسطين إلى أين؟ هو سؤال في لحظة صعود اليمين القومي - الديني الذي نزع الأفتحة عن وجه الحركة الصهيونية، معلناً أن الاستيطان والتطهير العرقي وتحويل الشعب الفلسطيني إلى ظل لشعب لم يعد له وجود، هي مشروع مستمر ولم يتوقف منذ حرب النكبة في سنة ١٩٤٨.

لقد مزق الصهيوينيون الجدد اللغة الصهيونية القديمة التي كانت تنتعج، وأعلنوا أن أجندتهم الرئيسية هي العنصرية، مطيحين ما أطلق عليه اسم "عملية السلام"، ومقدمين تأويلهم لمبادرة السلام العربية، بصفته حقيقة يفرضها التفكك العربي وجنون الصراعات الإقليمية والتواطؤ الدولي.

سعت الثقافة الفلسطينية طويلاً لكشف زيف ادعاءات السلام الإسرائيلية، وبنية الخطاب "الديمقراطي" الإسرائيلي، بصفتها تزويراً، واليوم حين تكشف الصهيونية عن وجهها

الذي خبّأته طويلاً، وتدخّل إسرائيل في مآزقها الأخلاقي والسياسي والوجودي، تواجهنا مفارقة مخيفة هي أن فلسطين تدخل أيضاً في مآزق صنّعه قياداتها ونخبها السياسية، فسُئلت قدرة الشعب الفلسطيني على المواجهة، وهُمّشت مبادرات المجتمع المدني الفلسطيني، كمبادرة "حركة المقاطعة" ذات الدور المشرق والمشرف.

لماذا؟ وإلى أين؟

المآزق الذي كان يجب أن يكون مآزقاً إسرائيلياً، يصير مآزقاً فلسطينياً؛ ما هي مسؤولية القيادات الفلسطينية عن هذا المآزق، وكيف يجب الخروج منه؟

طرحنا هذا السؤال على نخبة من المناضلين والمتقنين الفلسطينيين الذين اجتمعوا في هذا العدد في مسعى لتقديم إجابات مختلفة ومتنوعة يجب أن تشكل أرضية لنقاش حر ومفتوح، وذلك بهدف بلورة أفق يلي طموحات التضحيات الهائلة التي لم يتوقف الشعب الفلسطيني عن تقديمها.

أعطينا هذا الملف غلاف العدد كله، الذي أردناه مختلفاً، وقد خطّطه الفنان حسين ماجد، كصفحة مفتوحة تحتاج إلى جهود جميع المثقفات والمتقنين، من أجل بلورة إجابات ملائمة.

غير أن تكريس مساحة الغلاف بأسره للملف يجب ألا يغطي على مساهمات أخرى تصبّ فعلاً في السؤال نفسه. ففي باب المقالات يكتب ميشال نوفل: "تركيا: إعادة هيكلة الدولة، واستدارة نحو موسكو وطهران"، في محاولة لقراءة السياسة التركية بعد فشل الانقلاب، وتأثير هذه السياسة في التحولات الإقليمية. وتعالج حنان جاد موضوعاً ثقافياً سياسياً بالغ الأهمية هو "رواية اليافعين والقضية الفلسطينية".

يعيدنا محور "وقائع القدس" إلى أسئلة فلسطين الصعبة، ففي دراسة دعاء حمّودة وليالي حمايل ولين ولشمان عن كفر عقب في مدينة القدس المحتلة، يفاجئنا الاحتلال بتأثير هوله في الحياة اليومية للمقدسيات والمقدسين، وبسياسة التطهير العرقي التي تجمع الخبث والعنف وتسعى لتفكيك المجتمع الفلسطيني، كما ننشر تقريراً لعبد الرؤوف أنثاؤوط عن "الاستثمار الفلسطيني في القدس". ويتوسط المحور مقابلة كانت قد أُجريت مع المناضل الراحل إبراهيم دقاق الذي يروي لنا صفحات من نضال أهل القدس من أجل الدفاع عن هوية مدينتهم.

ومع إبراهيم دقاق نتذكر ثلاثة راحلين كبار، المناضلين تيسير قبعة وتيسير عاروري، والمفكر والسفير اللبناني كلوفيس مقصود.

يهودا شنهاف - شهرباني يستعيد سلمان ناطور وأدبه، أمّا رندة حيدر فتقدم قراءة خاصة لرواية الإسرائيلية دوريت رابينيان: "الجدار الحي"، وهي الرواية التي مُنعت تدريسها في إسرائيل لأنها تروي حكاية حب بين إسرائيلية وفلسطينية. هذا المنع يصبّ في الهوس العنصري الذي يضرب إسرائيل، ويحاصر أيضاً التيارات الليبرالية في الثقافة الإسرائيلية. كما يقرأ عفيف عثمان كتاب جنكينز تشاندنار: "قطار الراقدين السريع: رحلة في التاريخ (تركيا - الكورد - الشرق الأوسط - العرب).

ونختتم العدد بتقريرين فصليين: فلسطيني لخليل شاهين، وإسرائيلي لأنطوان شلحت، وبقائمة محتويات الوثائق التي تُنشر في الموقع الإلكتروني.

هيئة التحرير